أيستطيع « نوري » ان يأتينا بقاعدة ثابتة تميز الاسلوب الفني من غيره ؟ او انه يريد منا ان نطفر بادبنا – وهو لم يزل حديث العهد بالحياة – طفرة واسعة او ان نطوره بين عشية وضحاها لنصل الى المستوى العالمي ؟ !

ان مسألة القابلية الفنية – كما ارى – مسأله نسبية ، تختلف باختلاف المجتمعات ودرجة تطور الناحية الفكرية فيها . فمقياس الفن في اي بقعة من بقاع العالم يقوم على اساس الذوق العام ، او بعبارة ادق الاستجابة الجماهيرية ، والذوق العام مع الفن في تفاعل وتأثر مستمرين ، وانهما – معاً – يتطوران بتطور نظام الحياة ، وما يتفرع عن ذلك من تطور في الناحية الاجتماعية والثقافية والتربوية . فالفنون في العراق – والادب احدها – لا يمكن ان تسير وحدها ، شاردة عن التطور العام ، كما لا يمكن ان يقام حكم ديمقراطي صحيح في ظل نظام اقطاعي بال سواء بسواء . وعلى اساس ما تقدم نستطيع ان نفسر رغبة الجماهير الشرقية – خصوصا العربية منها – عن الموسيقى الغربية ، ذلك ان ذوقها العام لم يصل الى المستوى الذي وصل اليه في الغرب ، ولا عجب في ذلك ، في هذا الوضع الشاذ !

فنسبة الاستجابة الجماهيرية لانتاج ذو النون ايوب اعلى من نسبتها لانتاج الآخرين من الزملاء . وهذا يكفي لتفسير وجود القابلية الفنية لديه ، ليس بالقياس الى الجمهور العراقي فحسب بل بالقياس الى الانتاج العالمي ، وذلك بشهادة بعض كبار المستشرقين ، منهم المرحوم « كراجكوفسكي » المستشرق الروسي ، والمستر « جب » المستشرق الانكليزي ، والمسيو « بلا شير » المستشرق الفرنسي ، الذي ابدى اعجابه الشديد برواية « الارض واليد والماء » كنتاج فني اجتماعي رائع .

ونود قبل ختم هذه الكلمة ان نسال الاستاذ « نوري » ما اذا كان يعتقد بنظرية « الفن للفن » ، وما اذا كان مدفوعاً بها في مهاجمته ذو النون ؟ نرجو ان لا يخيب رجاءنا !

بقيت لنا ملاحظة مستقلة عما تقدم . هي حول الدكتور سهيل ادريس ، فقد ذكر « نوري » في مقاله ذاك ، ان الدكتور ادريس قد ارتكب جناية بحق الروائيين العرب وعلى الاخص الاستاذ « نجيب محفوظ » القصصي المصري المعروف ، حينما جعل رواية « الارض واليد والماء » تقف على صعيد اروع الروايات العربية ... الخ . ان الدكتور فيما يبدو ، من بحثه في القصة العراقية ، قد كون آراءه فيها نتيجة دراسة عميقة جدية ، وانه لم يكن بذلك ، بصدد المقارنة بين القصصيين العراقيين والقصصيين العرب الآخرين ، كما لم يثر في بحثه ذاك اوجه المفاضلة بين ذو النون و محفوظ . فليس معنى اعلان اعجابه بهذه الرواية او غيرها ، انه قد ظلم محفوظ وغبنه وبخس انتاجه . ولا ادري لماذا عين « نوري » « محفوظ » بالذات دون غيره من الروائيين العرب الممتازين وهو يعلم انهم ليسوا بالقليلين !

ان تحامله على الدكتور ادريس ليس له ما يبرره بحال من الاحوال ، اللهم الا في ناحية واحدة ، وهي خيبة امله فيما كان يرجو من الدكتور ، ولعل ما كان يرجو ، هو اعتراف الدكتور بزعامته للقصة العراقية ! والا فبماذا نعلل تأجيله لنشر ارائه في انتاج « ذو النون » هذه السنوات واختيار هذا الوقت بالذات ، بعد بضعة ايام من وصول العدد الرابع من مجلة « الآداب » الغراء !!

اننا – في الحقيقة – لنرأ بالاستاذ نوري ان يسلك في نقده للآخرين هذا السلوك الشخصي ، ونأسف ان يتهرب من الواجب الاجتماعي في هذا الظرف العصيب . ونحن اذ نهيب به ان يتجه في ادبه اتجاهاً « التزامياً » نرجو من الاستاذ ذو النون ان يستمر في طريقه المعهود ، طريق الأدب الحي ، غير عابىء « بالقال والقيل » ولا ملتفت الى ما يرومون ويهدفون !

بغداد : **حسين زكريا**

صراع ...

لمّا تلُحْ دربُ الدجى العائره
والفجرُ ؟ أين الفجرُ ؟ لن ننظره

ولم تزل تجترُّ أوهامُنا
في ليلنا ذكرى الهوى العاطره

وإن أفقنا – وصراخُ الحجا
يضجُّ بالقهقهة الساخره

ثرنا وصحنا : ما لنا ؟.. دميةٌ
لَهَتْ بها طفولة شاعره

ثم انتهينا ... وامّحى ظلُّها
وتنجلي .. بعدُ .. لنا سافره ؟!

وتبرق العينانِ في نظرةٍ
عابثةٍ بالحكمة الثائره

ويُنكأ الجرحُ .. فنرنو له
والشك يدمي المقلةَ الساهره

أما لهذا القلب من خفقةٍ ..؟
وهل وعتْنا عنده خاطره ؟

أم أنه لاهٍ بأجواءِ مَنْ
ارضى ظما رغبته الفاجره ؟

بل ربما أعمته دنيا .. بما
تجيشُ أطياف الهوى .. كافره؟

★

غداً إذا عضت سنون الأسى
قلبي .. وملّ الصحبة الفاتره

سها على عهدِ صحابٍ مضوا
وأنتَ أبهى صور الذاكره !

بغداد **يوسف نمر ذياب**